نسبية "الزّمن" بين البراهين العلمية و إعجاز الآيات القرآنيّة

:

كان لله جلّ جلاله وجودا أزليّا قبل خلق هذا المكان و كان عرشه العظيم فوق الماء فكان من صفاته تعالى أنّه هو"الأوّل"، ثم بحكمته عزّ و جلّ أراد أن يعبد و أن يسبّح و يستغفر له فخلق هذا الكون البديع بما فيه، ممّا علمنا و ممّا جهلنا، ممّا أبصرنا و ممّا لم نبصر و ممّا أخبرنا به ربنا في كتابه أو علّمه أحدا من رسلّه أو إستأثره في علم الغيب عنده، فخرّ كلّ مخلوق ساجدا طوعا و طمعا لربّ هذا الكون الفسيح. و لمّا كان من صفاته- سبحانه- أنّه غفّارا خلق بحكمته و قدرته من يخطئ ثم يتوب من الجّن والإنس ليغفر لهم برحمته، فخلق و سخّر لهم كلّ شيء لغاية واحدة ألا و هي تحقيق العبودية له دون غيره، عبودية تتمثّل في العمل و الترك بالقول و الفعل، عبوديّة لا يكاد يخلو جوهرها من الذكر بالشكر و بالحمد و بالثناء و بالاستغفار، ثمّ بحكمته البالغة جعل لهم عقل مفكّر اختلفوا به في رأس هذا الأمر اختلافا كبيرا فغيّروا و بدّلوا وأشركوا بخالقهم و خالق هذا الكون العظيم، فأتبع عزّ و جلّ سنّة الاختلاف بسنّة بعث الرسل و الأنبياء فكانت بذلك كلّ شرائعه على طريق سواء تدعوا كلّها إلى الصّراط المستقيم و تدعوا أيضا إلى كيفية تحقيق غاية الوجود أي كيفية تحقيق العبوديّة. ثمّ لمّا كان سبحانه رحيما بعباده خلق لهم دار المقامة و الجزاء و سمّاها بالجنّة و أعدّها لعباده الذين آمنوا به و برسله بالغيب دون المجادلة و دون الخضوع لأهوائهم و الاستجابة لشياطينهم، و لمّا كان العقاب و الانتقام صفة من صفات العزيز الجبار خلق دار العذاب و الخزي و البوار و سمّاها بالنّار و أعدّها لعباده الذين جحدوا بدينه و أشركوا به و استكبروا بعبادته و كذّبوا بآياته واستهزؤوا برسلّه، وهكذا فإنّ لله في خلقه شؤون يخلق و لا يخلق، يأمر و لا يؤمر و يسأل و لا يسأل، فله سبحانه الأمر كله و لا يملك الخلق منه شيء ألبتة و قد أحاط بكل شيء علما و لا يحيطون بشيء من علمه، فهو الذي يقضي ولا يقضى عليه فكان سبحانه هو "الآخر".

ومن حكمته جلّ و على أنّه جعل بعضّ صفاته تتجلّى في خلقه، فهو رحيم جعل الرحمة في قلوب البشر، و هو عليم أعطى العلم لأولي الألباب، و هو حكيم ألقى بالحكمة على بعض ممن يشاء من عباده، وهو جميل يحب الجمال فجعل في كلّ مخلوق جانب من الحسن، فلمّا كان سبحانه هو الأول و هو الآخر جعل لكلّ سنّة و لكلّ شيء و لكلّ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخلوق بداية و نهاية. و بين بداية أيّ شيء و نهايته مدّة تقاس بالزمن (أو الوقت): فبين خلق الخلق مثلا و ابتلائهم ثمّ قضاء الأمر بينهم مدّة من الزمن سمّاها الله عزّ و جلّ بالعصر، والدنيا بوقت و علمه عند الله، و لعمر الإنسان و سائر المخلوقات آجال تقاس بوقت محدود، و الرسل تبعث في وقت معيّن و العذاب ينزّل في وقت معلوم، و خلق الكون في وقت محدّد و لوقت مقدّر، و يوم الساعة هي بوقت، و الوعد و الوعيد بوقت، و النصر بوقت و العبادات بوقت، و يوم القيامة محدّد بوقت، و بين المكوث في القبر و يوم البعث وقت، و هكذا أراد لسنّته سبحانه و تعالى أن تكون وصدق إذ قال : { سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (١)، فالزّمن مخلوق عارض(أي تابع) لجميع سنن الله سبحانه فلا تكاد تخلو أيّة سنّة منه. فكيف جاء إذا ذكر الزمن و الوقت في القرآن و السنّة ؟ و كيف تنظر النظريات التجريبية- العلمية لمصطلح الزمن و الوقت في عصر الآلة هذا ؟ و ما هو وجه الإعجاز العلمي في القرآن و السنّة في هذا المجال؟

سنحاول بإذن الله أن نجيب عن كلّ هذه الأسئلة في بحثنا هذا راجين من الله عزّ و جلّ أن يعيننا و أن يمدنا بتوفيقه لنصرة دينه و لإعلاء كلمته غايتنا في ذلك أن نكون سببا لكي يهدي الله على ضوء أعمالنا من هم للعلم عابدون و للمادة عاكفون، و لن تهدي من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء.

الوقت في نظر العلم التجريبي و النظري:

كان "اليوم" و لا يزال الوحدة الأساسية لقياس الزمن، و لمّا اقتضت الحاجة جعل الإنسان لليوم أجزاء فقسّمه إلى ساعات و قسّم الساعة إلى دقائق والدقائق إلى ثواني، و يظل العقل البشري يجزئ مادامت الحاجة قائمة لذلك. وكما أنّ لليوم أجزاء فله مضاعفات أيضا و هي الأسبوع و الشهر و السنة. و اليوم اصطلاحا هو الفرق بين شروقين أو بين غروبين متتاليين يشمل بذلك الليل و النهار، فدوران الأرض على نفسها في أربع و عشرين ساعة هو العامل الأساسي في تحديد الوقت، فاليوم قياسا هو الفارق الزمني الذي تستغرقه الأرض لكي تلّف لفة واحدة على محورها. و ظلّت هذه الفكرة قائمة منذ أن أكتشف العالم الفيزيائي جاليلي جاليليو(١٥٦٤ -١٦٤٢) أنّ الأرض كرويّة الشكل و أنّها ليست مسطّحة و أنّها هي التي تدور حول الشمس و ليس العكس كما كان مدوّن في الإنجيل و التوراة، فقامت بعد ذلك الكنيسة بإعدام جاليليو متّهمة إياه أنّه مشعوذ دجّال، و بعد سنوات أخرى برّئ(بضم الباء) من ذنبّه بعدما أثبت العلم التجريبي صحّة نظريته و زيف الإنجيل، فكان بذلك أولّ شرخ بين العلم و الدين في داخل المجتمع المسيحي، و كان هذا من أهمّ الأسباب التي دفعت باللائكية العلمية للظهور،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لائكيه لم يسلم منها حتى رجال العلم من المسلمين و غيرهم فأعرضوا بتبنيهم لها عن جميع الشرائع السماويّة و القوانين الربّانية ضاربين بذلك كلّ المعتقدات العلمية الراسخة و الحقائق المطلقة الموجودة في كتاب الله الحكيم فأفسدوا بها عقولهم وأظلوا بها عامة الناس، فلو قرؤوا قوله عزّ و جلّ من سورة النمل : {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ }(٢) و قوله أيضا من سورة النبأ :{ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ** وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} (٣) لعلموا أن الشيء الذي هو

وتد ثابت (أي الجبال) و يتحرك في آن واحد دليل منطقي و فيزيائي على أنّ حامل هذا الشيء (أي الأرض) هو الذي يتحرّك ! من علّم محمد هذا؟ من علّم هذا الرجل الأميّ قانون دوران الأرض ؟ و من قال أنّه فتراه ؟ و من قال أنّه قد استوحاه من الإنجيل فقد خاب ضنّه ! فكيف يمكن لرجل، مضى على ظهوره أربعة عشر قرنا، أن ينقل الإنجيل ثمّ يصحّح الخبر(أي دوران الأرض) في هذه النقطة بالذات؟! ثمّ يبدلها من عند نفسه بمعطيات لا يملكها عقل بشري حين ذاك بل هي معطيات أظهر العلم نهائيا صحتها قرون عديدة بعد ذلك؟! فالإنجيل زائف يعارض منطق العلوم و حكمة الخالق، أما القرآن فهو فرقان بين الجهل و العلم، بين الظلمات و النور و بين الهديّ و الضلالّة...

أمّا قوله عزّ و جلّ من سورة الغاشية{وإلى الأرض كيف سطحت}(٤) لا يتعارض مع الحقائق العلميّة الثابتة كون الأرض كروية الشكل، بل في الآية إعجاز رائع حيث أنّ علماء الأرض أدركوا أنّ قطر الأرض الحالي (و الذي يقدّر ب ١٢٧٥٦,٢ كلم)

هو القطر الأنسب لظهور الأفق ! أي أنّ هذا القطر هو الأمثل لكي يجعل أي نقطة فوق سطح الأرض مسطحّة ! أي رغم أنّ الأرض كروية غير أننا و نحن في أي بقعة من هذه الأرض نرى الأرض مسطحة على مد أبصارنا من المشرق إلى المغرب ! فلو كان قطر الأرض دون القطر التي هي عليه الآن لما أدركت أعيننا الآفاق و لا تعاقب الليل و لا النهار و لاستحالة الحياة . و في سياق هذا الإعجاز تجدر الإشارة بنا للقول أن من حكمته عزّ و جلّ جعل القرآن صالح لكل زمان و مكان، فقريش و هي تعتقد أنّ الأرض مسطحة لا مستديرة خاطبها القرآن على قدر علمها، أما بالنسبة لقارئ القرآن في عصرنا هذا فلا يسعه إلا أن يقول :{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٠٥)

قام العالم البريطانيإسحاق نيوتن (١٦٤٢ -١٧٢٧) بإحداث ضجّة كبيرة في وسط الفيزيائيين بل في كل الأوساط العلميّة في مطلع القرن السابع عشر، و هذا بعدما أن أكتشف و وضع قانون الجاذبية مرسخا بذلك أسس الفيزياء الكلاسيكيّة العامة، حيث أعتقد الملاحظون حينها أنّه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اكتشاف لن يضاهيه أيّ اكتشاف آخر في المستقبل البعيد أو القريب، و وفقا لهذا القانون الجديد ظلّ مفهوم "الزمن" في نظر الفيزيائيين وعلماء الرياضيات مفهوما مطلقا و ليس نسبي، و بالنسبة لنظرية نيوتن هذه – و التي تعرف بالفيزياء النيوتونية – تفترض أنّ الوقت ينقص ويتدفّق بنفس الوتيرة مهما أختلف المكان الذي نتواجد فيه أو اختلفت السرعة التي نسير بها، و أنّ الفراغ موّحد لكل المشاهدين المتواجدين في أيّ نقطة من الكون، فملّخص أعمال نيوتن تتضمّن أن الفضاء و الزمن ثابتين مطلقين و أنّ الأجسام الثقيلّة تنجذّب إليها الأجسام الأخرى وفقا لقانون الجاذبيّة العامة. و بعد ٢٠٠ سنّة تقريبا من اكتشافات نيوتن جاءت أعمال الفيزيائي ألبرت أينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥) التي قلبت كلّ حسابات و موازين نظرية الفيزياء النيوتونية، وتقتضي هذه الأخيرة أنّ الوقت متغيّر ينقضي و يتدفق بوتيرّة مختلفة و أنّ الفراغ شأنه شأن الوقت فهو بدوره يمكنه أن يتقلّص أو يتمدّد حسب وضعية المشاهد، إذا الوقت و الفراغ هما نسبيان متغيران و ليس مطلقين ثابتين، و تضيف نظرية النسبية العامة بعدا رابعا للأبعاد الثلاثة الخاصة بالفضاء و هذا ما يعرف" بالفضاء الزمني"، ويقول أينشتاين أنّ الفضاء الزمني ليس سليم الشكل بل هو مقعّر من جرّاء ثقل الأجرام السماويّة (لاحظ الشكل ٠١)

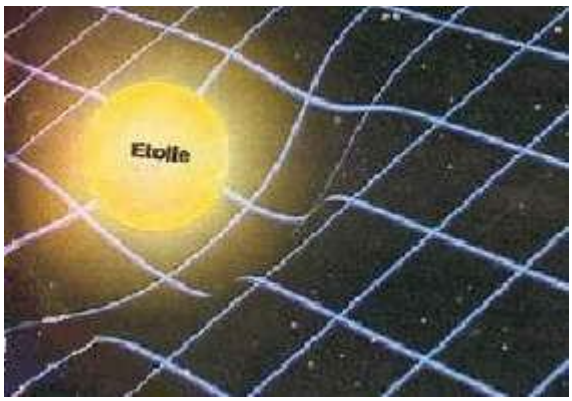

الشكل ٠١

و أيّ شيء يمرّ بالقرب من هذه التقعرات الفضائيّة سينجذب تلقائيّا نحوها، فما كنّا نعتقده في الفيزياء النيوتونية أنّه قوة جاذبة ما هو إلا مجرّد تقعرّات في الفضاء تنجّذب الأجسام إليها. و الفضل يعود لهذه النظريّة في خدماتنا اليوم المتعلقة بالاتصالات اللاسلكية و التي تعرف بنظام جي.أس.أم M .S. G المستعملّة في أنظمة الأقمار الصناعية و الهواتف النقالة التي تستعمل تقنيّات الهوائيات المقعّرة. وهذه التقعرّات في الفضاء الزمني يمكنها أن تؤثر حتى على أدوات قياس الوقت كالساعات الميكانيكية، البيولوجية و النوويّة فهي تتباطأ باقترابها من الأجسام الكبيرة الحجم المحدثة للتقعّر، و لمّا كانت الثقوب السوداء أشدّ الأجرام السماويّة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثافة من غيرها فإنّ الوقت بالقرب منها يكاد يكون متوقّف ! هذا فضلا على أنّها تجذب كلّ جسم إليها حتى الفوتونات الضوئية الضئيلة الحجم، فلهذا فإنّ الوقت قبل مرحلة الفتق (الانفجار الكبير) كان معدوما كون النقطة التي انفجرت مكونّة لنا هذا الكون كانت في درجة هائلّة من الكثافة تؤول إلى ما لا نهاية و الزمن و المادة كانتا محبوستان و مكدّستان تحت درجة عالية من الكثافة.

وإذ كان العقل البشري قد أستنتج مؤخّرا أنّ الوقت نسبي متغيّر و ليس مطلق ثابت فإن الله قد أخبر نبيّه - صلوات الله و سلامه عليه و على آله الطاهرين الأخيار - عن هذا الأمر ألف و أربع مئة عام من قبل بواسطة القرآن في أكثر من موضع، ذلك الكتاب المنزّل و المنزّه من كلّ عيب و نقص، كما أنّ نبيّنا قد نبّأنا بذلك بأحاديثه الصحيحة المتواترة.

نسبية الوقت بدليل القرآن الكريم.

الدليل الأول:

يعتقد عامة الناس أنّ الساعة الواحدة هي نفسها التي نقضيها فوق الأرض أو على كوكب آخر يدور بسرعة أكبر من سرعة دوران كوكبنا الأخضر أو فوق مركبة فضائيّة تسير بسرعة هائلّة، و لكن هذا ليس صحيح فتدفق الوقت على متن مركبة أو كوكب تقارب سرعتاهما سرعة الضوء يكون أبطئ منه على الأرض. و تجارب عديدة أثبتت نسبية الوقت، حيث أنّ الساعات المتواجدة على متن الأقمار الصناعية يتباطأ زمن توقيتها ب ٧ ميكروثانية في اليوم الواحد مقارنة بالساعات الموجودة على سطح الأرض، و لو سارت هذه الأقمار بسرعة أكثر لزاد فرق التوقيت الزمني بين الساعتين. وليست هذه التجارب وحدها هي التي أثبتت نسبية الوقت بل تجارب أخرى و اكتشافات عديدة من بينها اكتشاف جذوع لأشجار تكون من بين الأشجار الأولى التي ظهرت في الأرض منذ ملايين السنين، فقام علماء الجيولوجية بإحداث مقاطع عرضية لها فوجدوا أنّ حلقاتها الزمنية متقاربة بشكل محيّر للغاية ! فهي لا تمتّ بصلة و لا تشبه حلقات جذوع الأشجار المتوسطة العمر أو الحديثة، و للإشارة فقط نقول أنّ حلقات الجذوع تمثل تدرج نموّ الأشجار فالفرق بين حلقتين متتاليتين يمثل فترة زمنية معيّنة، وتتناسب هذه الحلقات تناسبا طرديّا مع فترات نموّ الأشجار، و بعبارة أدقّ كلّما كانت الحلقات متقاربة كانت فترة نموّها أصغر وكان عدد الحلقات أكبر، وأدى هذا لخلاصة مفادها أنّ سرعة الأرض قبل ملايين السنين كانت أكبر ممّا هي عليه الآن، و حسب درجة تقارب الحلقات فقد أستنتج العلماء أنّ مدّة اليوم الواحد في تلك العصور الغابرة لا تزيد عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٠٤ ساعات ! أي أنّ الفترة الزمنيّة التي كانت تقطعها الأرض لتلّف حول نفسها هو ٠٤ ساعات تقريبا، و بعبارة أخرى كانت مدّة الليل هي ساعتين و نفس المدّة بالنسبة للنهار، أمّا بالنسبة لحياة الكائنات - في هذه الظروف- تكون شبه مستحيّلة باستثناء بعض الكائنات المجهرية كالبكتيرية و النباتات، وظلّت سرعة الأرض تتباطأ حتى استقرت على سرعتها الحاليّة التي نعرفها الآن، و يقول العلماء أنّها السرعة الأمثل لحياة كل الكائنات المجهريّة منها، البحريّة، الثدييّات، الطيور، و جميع أصناف النباتات، و في ظلّ هذه الأطروحات النظريّة يرى الملاحظون أنّ سرعة دوران الأرض مرّشحة للتباطؤ مستقبلا، فسنرتقب حينها أياما أطول ممّا نعيشها الآن، بل إنّهم لا يستبعدون أن تتباطأ السرعة حتى تتوقف الأرض كليّة عن الدوران، و تحت تأثير تجاذب الكواكب و النجوم الأخرى نتيجة للفضاء الزمني المقعّر و قانون تجاذب الأجسام فإن الأرض ستأخذ منحى معاكس في دورانها حول نفسها .

و لكن لدينا سؤال واحد لأرباب علوم الأرض و الحياة : إذا كان تباطأ دوران الأرض حول نفسها هو حتمية فيزيائيّة بحتة و أنّه كان نتاجا لانخفاض درجة حرارة الكون بعد بداية توسّعه، هل استقرار دورانها على هذا النحوّ هو نتيجة حتميّة ؟! هل قرّرت الأرض لوحدها الاستقرار على سرعة محددّة تجعل العيش على سطحها

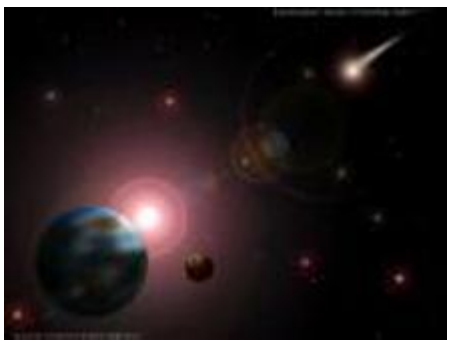

أمرا يسيرا ؟! كيف لها- بالله عليكم- أن تتحكّم في سرعتها و هي التي خلقت من دخان ومن ذرّات الغبار كما أثبتم ذلك بتقنياتكم العلميّة الحديثة ؟! كيف لها أن تزيد من سرعتها و تنقصها من تلقاء نفسها دون مدبّر و مسيّر و آمر لها؟! و هل الأرض هو الكوكب الذكيّ الوحيد وسط ملايين من الكواكب الأخرى حتى يؤهلّ نفسّه لكي يكون المكان الحيّ الوحيد في مجرّتنا هذه؟! و لو تقرؤون قوله عزّ و جلّ من سورة الرعد :{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(٠٦) لأدركتم أنّ الأرض تدور و تسبح في فلك إلى حين ! وأنّ الله ينقصها من أطرافها فتزيد من سرعتها أو تنقص منها خاضعة لأوامر خالقها الذي دعاها قائلا : ثم { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }(٠٧)، و لأدركتم يا أهل العلم أنّ غاية دورانها سيؤول إلى يوم الساعة الذي أنتم بها مكذّبون.

أمّا قولكم أنّ الأرض ستأخذ الاتجاه المعاكس في الدوران هذا يعني أنّكم تقرّون أنّه يمكنّ للشمس أن تشرق من المغرب في يوم ما !! إذا أنتم تصدقون نبيّنا دون أن تعلموا ذلك ! و

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنّكم تؤمنون بإشارات و علامات يوم الحشر فلما لا تؤمنون بالبعث إذا؟ ثمّ لماذا تصدّقون كلّ ما تمليه عليكم آلاتكم العلمية و نظرياتكم التجريبية فقط بعين اليقين و تعرضون عن الآيات القرآنيّة قائلين أنّها أساطير الأولّين؟! و لكن الأرض خلقت بحق و تدور بحق و تتوقف بحق و تجمع بحق و تطوى السماء بحق ويحشر الناس بحق و يقضي الله بينهم بالحق و كل شيء يسير بالحق أمّا أنتم يا معشر العلماء فقد حق عليكم قوله الحق تعالى من سورة المؤمنون :{ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ} (٨)

الدليل الثاني:

لقد أشرنا من قبل في تعريفنا لمصطلح اليوم و قلنا أنّه يمثل الفرق الزمني بين شروقين أو غروبين متتاليين، و مادام الوقت نسبي كما ذكرنا فإن مفهوم هذا المصطلح هو أيضا نسبي و لهذا فقد جاء ذكر "اليوم" في القرآن الكريم بصيغة نسبيّة و ليست مطلّقة، فيقول الحقّ تعالى في سورة المعارج { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}(١٠) ، و قال أيضا في سورة الحج : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }(١١) فيقول قائل عاش منذ قرون خلت : كيف يمكن ليوم واحد أن يكون مقداره خمسين ألف سنة؟! و يكون مقداره أيضا ألف سنة في آن واحد؟! إنّ استعمال كلمة "يوم" في هاتين الآيتين الكريمتين جاء بمعنى "دورة من الزمن" و هو المخالف كلّ المخالفة لمعنى الكلمة الشائع عند العرب، و هذا قد أذهل عددا من المفسرين القدماء الذين لم يكونوا يملكون المفاهيم و المعارف التي نملكها بأيدينا و التي بينّها العلم في عصرنا هذا و التي سهّلت لنا الفهم النسبي الجديد للوقت و الزمن. إنّ لفظ "يوم" أو " أيّام" يمكن أن تعني الأيام بمفهومها العادي و أن تعني أيضا الامتداد الزمني الطويل أو دورة زمنية محدودة كانت أم غير محدودة، فاليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنّة ليس باليوم الذي يفصل بين شروقين أو غروبين متتاليين وليس هو نفسه اليوم الذي كان مقداره ألف سنة مما نعد نحن البشر و إنما هو دورة من الزمن كان مقدارها ما قدّره الله لها أن تكون، و نفس التفسير بالنسبة للآية من سورة الحج، فتقدير الحكيم ليوم عنده شاء أن يكون بحكمته ألف سنة ممّا يعد البشر، و اليوم المذكور في هذه السورة يختلف تقديره عن اليوم المذكور في سورة المعارج، و هذا إعجاز ما بعده إعجاز ! فهنا نستنبط تداخل لإعجازين، الأول بياني و الثاني علمي : فكلمة اليوم في القرآن جيء ذكرها بأكثر من معنى في حين كانت العرب تستعملها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في معنا واحد و محدود و هو وجه الإعجاز البياني، كما أعطت كلمة "اليوم" للوقت مفهوما نسبيّا متغيرا ليس بثابت مطلق و هو وجه الإعجاز العلمي.

نسبية الوقت بدليل السنّة

الدليل الأول.

و مما أخبرنا نبينا الكريم - صلى الله عليه و على آله و سلّم - من علم الغيب هو ظهور فتنة المسيح الدجّال فوق الأرض في آخر الزمان، وقد قال صلى الله عليه وسلم " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت وكسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض "، و فترة مكوث المسيح الدجّال هي أربعين يوما، أيام ليست بعضها كأيامنا هذه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عنها:" أربعون يوم، يوم كسنة (أول يوم من الأربعين يوما يمر كسنة) ويوم كشهر (اليوم الذي بعده يمضي كشهر) ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم "

ما معنى اليوم كالسنة ؟؟ نحن الآن نمكث في السنة ٣٦٥ يوما، إلاّ أنّ وقت ظهور الدجال يكون اليوم الأول من الأربعين من طلوع شمسه إلى انقضاء اليوم يمر كانقضاء السنة في الطول أي كما لو أنّ الوقت يتباطأ حينها فيصبح يوما واحدا يعادل ٣٦٥ يوما، و كما علمنا من الحديث أن ظهور المسيح الدجّال حق علمناه أيضا من القرآن، يقول رب العزّة في سورة الأنعام { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢)، و من بين الآيات المقصودة هنا هو المسيح الدجّال و وقت مكوثه و معجزة طول أيامه التي ليست كسائر الأيام الأخرى، فهذا يوم مدّته سنة و ذاك يوم مدّته شهر و هنا دليل لنسبية و تباطأ الوقت و الزمن.

و لمّا سمع الصحابة حديث فترة مكوث الدجال تنبهوا إلى مسألة مهمة، قالوا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم ؟! قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تكفي ولكن اقدروا له قدره" يعني انظروا كم بين الفجر و الظهر في الأيام العادية سبع ساعات فإذا ظهرت الشمس في اليوم الذي سيظهر فيه المسيح الدجال وهو اليوم الأول من الأربعين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اجلس سبع ساعات ثم صل الظهر حتى و إن كانت الشمس مازالت ظاهرة، ثم كم بين الظهر والعصر مثلا ثلاث ساعات فزد بعد صلاة الظهر ثلاث ساعات وصل العصر وهكذا تقدر بين العصر والمغرب وبين المغرب والعشاء وبين العشاء والفجر الذي بعده ويصلي المسلمون الصلوات بالتقدير في ذلك اليوم الذي يمر في بطئه كالسنة حقيقة لا مجازا، و لا شك هنا من نسبية الوقت و الزمن و هو إعجاز علمي آخر في السنّة النبويّة الشريفة، كما سنراه جليّا في الدليل الثاني .

الدليل الثاني.

قال الإمام أحمد، حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنّ الرسول – صلى الله عليه و على آله و سلّم- قال : " يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل أغنيائهم بنصف يوم و و هو خمسمائة عام" و فضلا على أنّ هذا الحديث يطابق الآية ٤٧ من سورة الحج المذكورة سابقا فإنّه يثبت للوقت مدلوله النسبي، فلما كان يوم عند الله بألف سنة مما يعد البشر كان نصفه هو خمسمائة سنة، و في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت الرسول – صلى الله عليه و على آله و سلّم- يقول : " فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا" وفي ظاهر الأمر يبدو لنا تناقض بين ما رواه أبو هريرّة و ما حدّثنا عنه ابن عمر - رضي الله عنهم جميعا- غير أنّ في جوهر الحديثين إعجاز علمي واضح المعالم لنسبية الوقت، فلمّا كانت أعمال الفقراء متفاوتة كان سبقهم بعضهم بعض في الدخول للجنّة متفاوت بدوره هو الآخر، ففقراء المهاجرين ليسوا كغيرهم من فقراء المسلمين فهم أعلى درجة من غيرهم، فهؤلاء يسبقون الأغنياء إلى الجنّة بأربعين خريفا و أولائك بخمسمائة عام ، فنرى كيف أنّ الرسول– صلى الله عليه و على آله و سلّم- يخبرنا عن حال الفقراء يوم القيامة مستعملا نسبية الوقت.

كما علمنا أنّ الله سبحانه هو الأول وهو الآخر علمنا أيضا أنّه هو الظاهر و هو الباطن، و علمنا أيضا أنّه يجب علينا أن نصف الله بما و صف به نفسه من غير تحريف و لا تعطيل، و من أثبت حقائق الأسماء و الصفات و نفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراط مستقيم، فقد ترفّع و تعالى الله عن الشريك و الصاحبة و الولد و عن جميع خلقه، فلا يليق إذا بقداسة أسمائه و عظمة صفاته أن يكون تدبيره في خلق المكان و حساب الوقت و الزمان كمثل تدبير البشر وحسابهم، فهو الخالق و ما دونه مخلوق، و هو مدبّر الأمر و غيرّه لا يملكون إلاّ الطاعة و الخضوع، فلقد أنشأ سبحانه سنّة الوقت و الزمن و جعلهما نسبيين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متغيرين، فإن أراد - و لا راد لقدره - قدّر اليوم بألف سنّة و إن شاء جلّ جلاله قدّره بأكثر أو بأدنى من ذلك ، أما نحن البشر فتقديرنا للوقت مرهون بحركة الأرض التي ندّب فيها و ننعم عليها، سبحان الله ! كم نحن عاجزون على تقديرنا للزمن و كم هو سبحانه قادر على تقديره كيف ما يشاء ! بل كم نحن عاجزون عن كلّ شيء و لا يعجزه في الأرض و لا في السموات رقم و لا عدد و لا زمن و لا أيّ شيء ! وكم هو عجيب أمر هذا القرآن فلا تكاد تمضي حقبة من الزمن إلاّ و أبهر بإعجازه و غيبه من يحملونه بأيديهم، فهذا إعجاز كونّي و ذاك إعجاز بياني و آخر عددي و سيظل يعجز العلم بنظرياته التجريبية و النظريّة ما دام يتلى إلى يوم القيامة، هي إذا حكمة الله تتجلى في كونّه و هي قدرته نراها جهرا بعلمنا الذي علّمنا إياه و لكن أكثر الناس لا يعلمون، فتراهم للغيب مكذّبون و للكتاب معرضون و لن يؤمنوا حتى و إن جعل الله للوقت لسانا يكلّمهم جهرا، فصدق قوله عليهم إذ قال :

{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ** لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}(١٣) فهم لا يستندون إلاّ لما تمليهم عليهم عقولهم المحدودة و لا يصدقون إلاّ ما يرونه بأعينهم المجرّدة، فجعلوا من المنطق ربّا ومن العقل إله و من البراهين و الحجج العلميّة و التجريبية أندادا لله الواحد القهّار، و نسوا أنّ بين علم الحكيم العليم و علمهم المحدود كالبحر تنقص منه قطرة بحجم النقطة التي ننهي بها هذه الفقرة.

محمّد ترياقي

مهندس في الإحصاء و التخطيط

تورونتو - كندا

mtriaki@yahoo.com

الآيات :

(١) الفتح آية رقم ٢٣(٢)النمل آية رقم ٨٨(٣) النبأ آية رقم ٠٦، ٠٧ (٤) الغاشية آية رقم ٢٠(٠٥) المؤمنون آية رقم ١٤(٠٦)الرعد آية رقم ٤١

(٠٧) فصلت آية ١١(٠٨) المؤمنون آية ٧١ (٠٩) الكهف آية رقم ٢٥(١٠)المعارج آية رقم ٠٤(١١) الحج آية رقم ٤٧(١٢)الأنعام آية رقم ١٥٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٣) الحجر آية رقم ١٤، ١٥

المراجع:

١. , Auteur Durand Durand Stephane, Fevrier 2003."Relativité Animée"

٢. , Perrose Roger, Hawking "La nature de l’espace et Du temps" stephen Octobre 2003.

٣. la science et la ","Cyberscience", "Québec Science"Magazine : "technologie pour tous.

٤. "Les chemins de l'espace-temps"Einstein et la relativité générale : .Jean Eisenstaedtde

٥. " Théorie de la relativité restreinte et générale, la relativité et le problème de l'espace, Albert Einstein, Payot & Rivages.

٦. حادي الأرواح في بلاد الأفراح" لأبن القيّم الجوزيّة

٧. التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم" لموريس بوكاي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com